ذكر هذه القصص على النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم السامع ان المومن يخرج من الدنيا مع الثنا الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في الاخرة وان الكافر يخرج من مع اللعنة في الدنيا والعقاب في الاخرة واذا
تكررت هذه الاقاصيص على السمع فلا بد وان يلين القلب وتخضع النفس وتزول
العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال وفي اخباره صلى
الله عليه وسلم بهذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تلمذ دلالة على نبوته فان
ذلك لا يكون الا بوحي من الله تعالى منها اي القرى قائم اي باق كالزرع القائم
هلك اهله دونه ومنها حصيد اي في محاق الاثر كالزرع المحصود هلك مع
اهله وما ظلمناهم باهلاكهم بغير ذنب ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وقال
ابن عباس بربيد وما نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ
انفسهم حيث استخفوا بحقوق الله تعالى فما اغنت اي دفعت عنهم الهتهم
اي اصنامهم التي يدعون اي يعبدون من دون الله اي غيره من شي اي شيا
من مزيد لما جاء امر ربك اي عقابه وما زادوهم بعبادتهم غير تتبيب اي
تخسير وقيل تدمير ولما اخبر رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه بما فعله بامم
من تقدم من الانبيا عليهم السلام لما خالفوا الرسل وما ورد عليهم من
عذاب الاستيصال وبين انهم ظلموا انفسهم فحل بهم العذاب في الدنيا قال
تعالى بعده وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ العظيم اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي
اي القرى ظالمة والمراد اهلها ونظيره في قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة تبين تعالى ان عذابه
ليس مقصورا على من تقدم بل الحال في اخذ كل الظالمين يكون كذلك ولما بين
تعالى كيفية اخذ الامم المتقدمة ثم بين تعالى انه انما ياخذ جميع الظالمين
على ذلك الوجه اتبعه بما يزيده تاكيدا وتقوية بقوله تعالى ان اخذه اليم اي مولم
شديد اي صعب مقت القرى وعن ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي الظالم حتى اذا اخذه
لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم
شديد وفي هذه الاية الكريمة والحديث الشريف دلالة على من اقدم على ظلم
فانه يتداركه بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير
لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الاية مختصة
بظالمي الامم الماضية بل هي عامة في كل ظالم ويعضده الحديث ان في ذلك اي
ما ذكر من عذاب الامم الماضية واهلاكهم لاية اي لعبرة وموعظة لمن خاف
عذاب يوم الحياة الاخرة لانه ينظر ما احل الله تعالى بالمجرمين في الدنيا وما هو
الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة فاذا راي عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب
الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله
وقوله ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع

له

اي فيه الناس اي ان خلق الاولين والاخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويجمعون
ثم وصفه تعالى بوصف اخر بقوله تعالى وذلك يوم مشهود اي يشهده اهل السموات
واهل الارض وما نوخره اي ذلك اليوم وهو يوم القيمة الا لاجل اي وقت معدود
اي معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه الا الله تعالى يوم يات ذلك اليوم لا
تكلم فيه حذف احدى التائين اي لا تتكلم نفس الا باذنه تعالى وقرا نافع وابو
عمرو والكسائي باثبات اليا بعد التاء من ياتي وقفا ووصلا وحذفها الباقون
واما التا من تكلم فشددها البزي في الوصل وخففها الباقون فان قيل كيف يوفق
بين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
ولا يوذن لهم فيعتذرون اجيب بان ذلك اليوم يوم طويل له مواقف
ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ولا
يوذن لهم وفي بعضها يوذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتتكلم
ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم اي الناس شقي ومنهم سعيد اي
فمنهم من سبقت له الشقاوة فوجبت له النار بمقتضى الوعيد ومنهم من سبقت
له السعادة فوجبت له الجنة بموجب الوعد وعن علي رضي الله تعالى عنه قال
كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا
حوله وبيده مخصرة ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منفوسة
الا وقد كتب مكانها من الجنة او النار فقالوا يا رسول الله افلا كتابنا فقال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير الى عمل اهل
السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية وبقيع
الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط
والعصا مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالنون والتا المثناة من فوق ضرب
الشي بتلك المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه فاما الذين شقوا في علمه
تعالى ففي النار لهم فيها زفير وهو صوت شديد وشهيق وهو صوت ضعيف وقيل
الزفير اخراج النفس والشهيق رده وقيل الشهيق بمنزلة ابتدا صوت الحمير بالنهيق
والشهيق بمنزلة اخر صوت الحمار اذا ردده في صدره وقيل الزفير في الحلق
والشهيق في الصدر وعلى كل فالمراد منهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم خالدين
فيها وقوله تعالى ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما سموات
الاخرة وارضها وهي مخلوقة دايما للابد والدليل على ان لها سموات وارض قوله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة
حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما يخلقها الله تعالى
او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سما وكلما استقر عليه قدمك فهو ارض والوجه
الثاني ان المراد مدة دوامهما في الدنيا الا اي غير ما شاء ربك من الزيادة

Copyright Sultan Qaboos University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)